

صفاء ديوب

الأسرة نظام حيوي يشعر ولما يفكر. جميع تغيراته قائمة على مبدأ التوازن الحيوي، شأنه في ذلك شأن الخلية التي تحافظ على نسب محددة من مكوناتها بهدف الاستمرار، فإذا زادت نسبة الأملاح داخلها تعمل على التخلص من بعض شوارد الصوديوم، وإذا قلت تفتح النواضد على الوسط المحيط لإستقبال شوارد جديدة

كذلك الأمر بالنسبة للأسرة فهي تخضع لقواعد وقوانين تنظم علاقات أفرادها مع المحيط وعلاقاتهم مع بعضهم. بهدف المابقاء على حالة توازن تضمن لها الاستمرار دون أن مع المجتمع فتفقد وظيفتها، متحفظة بنواضد تسمح بقدر كافي من التبادلية الضرورية لتطورها

هذه القواعد ليست خير أو شر بل إنها تتشكل بطريقة غير واعية إستناداً الى حاجة النظام للتوازن. وبالتالي فجميع التغيرات تحدث وفق هذا المبدأ، إذا غالباً ما تقاوم الأسرة المتغيرات المفاجئة لأنها تهدد استقرارها، مثلاً: عندما تقرر الفتاة الزواج دون موافقة أهلها يرفضون ويسود التوتر كحالة لإبعادها عن قرارها، لكن تتقبل التغيرات المنبثقة من حاجتها: "عندما تصل لعمر 25 يبدؤون بالإلحاح على زواجها، لأن بقاءها يشكل ضغط على النظام الذي تطور لإبعادها عنه وأصبح من الضروري خروجها ليبقى متوازن

جميع الأسر مهما كانت درجة إنفتاحها أو انغلاقها تخضع لقواعد بعضها واضحة ومصاغة على شكل تعليمات وتوجيهات تعلن لأفرادها في مناسبات عديدة، مثال: "مأعنا بنات تراضق شباب وتحكي معهن"، "كلنا لازم نحب بعض، وما عنا وبلاد بيحكو بهي الطريقة"، "ما بيصير ولد عنا يدرس أقل من هندسة

والمجزء الأكبر غير معلنة يستنتجها الأفراد من خلال تفاعلهم مع بعضهم ,مثال: "يطلب من الفتاة القيام بأعمال التنظيف, ولكن لنا  
يطلب ذلك من الصبي" هذا  
مفاده تقسيم الأدوار حسب الجنس

يختلف كم وشدة القوانين باختلاف أنماط الأسر, فالمغلقة التي تزيد من صلابة الحدود مع المجتمع قوانينها كثيرة وصارمة,  
"حتى المكتب التي تقرأ في المنزل لابد أن تمر على الرقابة الوالدية  
للحصول على الموافقة  
".

أما المنفتحة تتسم قوانينها بالمرونة بإعتبار أن مساحة الحوار والنقاش فيها أكثر أتساعاً, فتناقش القواعد وتعديلها بديناميكية أعلى.

لكن كما ذكرت سابقاً لا يوجد نظام مغلق أو منفتح بالمطلق, في بعض الحالات يتحول المرن إلى جامد والعكس بهدف الحفاظ على  
القاعدة الأساسية: "التوازن"

أكثر الأفراد تحسناً لحالات التوتر التي تلوح في أفق الأسرة "الأطفال" فيقومون بمهمة صمام الأمان الذي يشير للخطر قبل حدوث  
الإنفجار الأسري, كما أنهم الأقدر على إكتشاف القواعد  
الخفية التي تنظم تفاصيل حياتنا, فإذا قررنا تعديلها وتطويرها لابد أن نستعين بهم  
للبدء بالخطوة الأهم في لعبة التغيير وهي معرفة القوانين

\*-بعض الأفكار مستمدة من كتاب "العلاج الأسري", للدكتور علاء الدين كفاي.